التحليل النفسي لقصيدة المواكب لجبران خليل جبران

Psychological analysis of the procession poem by Gibran Khalil Gibran

د. جان عبدالله توما

jan eabdallah tuma

الباحثة. زمن صباح يوسف الدوري

جامعة الجنان /كلية الآداب والعلوم الإنسانية /قسم اللغة العربية/ الأدب العربي

zmns3537@gmail.com

الملخص

يُعد جبران خليل جبران من أشهر شعراء العرب ولديه مؤلفات متعدّدة ومن أهمها كتابه الشهير (النبي)، وقد ظهر على شاعرنا الاغتراب في أدبه الشعري والنثري، ويلحض أنه أظهر ملامح سوداويه وتشاؤميه ولا سيما في قصيدة (المواكب)؛ أذ تعكس لنا اغتراب الشاعر عن وطنه ومجتمعه وأهله ونفسه أذ تجدو؛ في القصيدة نفسها الكآبة والبؤس والحالة النفسية المزري التي جسدها الشاعر، ولقد هممنا إلى دراسة وتحليل القصيدة على وفق المنهج النفسي وإظهار الشكل الجديد الذي يخدم الباحثين والله ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية: جبران خليل جبران، التشاؤمية، المواكب.

المقدمة

إنمازا جبران خليل جبران عن غيره من شعراء عصره بالنزعة التشاؤمية والسوداوية في مجمل أعماله ولعل هذا يعود إلى الفقر أو مرض السل والتليف الذي لازمه في آخر حياته، ولعل الإغتراب المكاني العامل الأهم في هذا ؛ إذ كان عضوًا في الرابطة القلمية في نيويورك، المعروفة حينها بشُعراء المهجر جنبًا إلى جنب مؤلفين لبنانيين مثل الأمين الريحاني وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي، ولهذا تجد الاغتراب متلازم في حياته وعلاقاته مما انعكس في أدبه، ولابد من الإشارة إلى أن جبران قد تحدد بالمنحى الاغترابي لحياته مما شكل تأويلات متعددة لدى النقاد والكتاب فأنه استطاع أن يخلق ابداعًا عبر هذا اللون.

ولقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على قصيدة المواكب عبر المنهج النفسي وقد تضمن مبحثين وهي بحسب الآتي:

المبحث الاول: حياة الشاعر جبران خليل جبران.

والمبحث الثاني: النزعة النفسية التشاؤمية في قصيدة المواكب.

المبحث الاول: حياة الشاعر جبران خليل جبران

يلحظ أن حياة جبران خليل جبران حياة متعددة الطبقات المؤثرة على مجمل أطواره واحواله وتأثيراته ومؤثراته ولعل التحليل النفسي لقصيدة المواكب يرينا بعض نماذج ذلك لسانيًا ودلاليًا وذاتيًا واغترابيًا في وقت واحد وسنتناول في هذا المبحث الآتي:

ا. ولادته: ولد جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعد، الشهير بجبران خليل جبران على اسم عائلته، في بلدةِ «بشري» بشمالِ لبنانَ عامَ ١٨٨٣م، لعائلةٍ مارونيةٍ فقيرة، وقد سافَرَ منذ صِغَرِهِ مع عائلتِهِ إلى الولاياتِ المتَّحدةِ عامَ ١٨٩٥م، وهناك تَفشَّى داءُ السُّلِّ في أسرتِه، فماتوا الواحدُ تِلْوَ الآخَر، وعلى إثرِ ذلكَ عانى جبران معاناةً نفسيةً ومادِّيَّةً كبيرة[1].

كان والده خليل سعد جبران، الذي ينحدر من أسرة سورية الأصل، يعمل راعياً للماشية ويمضي أوقاته في الشرب ولعب الورق، وكان صاحب مزاج متغطرس، ولم يكن شخصاً محباً، كما يتذكر جبران، الذي عانى من إغاظته وعدم تفهمه. وكانت والدته «كاملة رحمة»، من عائلة محترمة وذات خلفية دينية، واستطاعت ان تعتني بها ماديا ومعنويا وعاطفيا.. وكانت قد تزوجت بخليل بعد وفاة زوجها الأول

(١) جبران في اثاره الكتابية، روز غريب، ط٢، بيت الحكمة، بيروت، ١٩٨١، ص ١٢

وإبطال زواجها الثاني، كانت شديدة السمرة، ورقيقة، وصاحبة صوت جميل ورثته عن أبيها، ولم يذهب جبران إلى المدرسة لأن والده لم يعط لهذا الأمر أهمية ولذلك كان يذهب من حين إلى آخر إلى كاهن البلدة الذي سرعان ما أدرك جديته وذكاءه فانفق الساعات في تعليمه الأبجدية والقراءة والكتابة مما فتح أمامه مجال المطالعة والتعرف إلى التاريخ والعلوم والآداب.(١)

ب. حياته وفنه : كانت حياة جبران خليل جبران في مرحلتها اللبنانية عبارة عن نزوع نحو الكلاسيكية والرومنسية مع بدايات كتاباته ولوحاته الموازية لبدايات كتاباته العربية ؛ إذ تزايد النزعة الكلاسيكية تلك في العقد الأخير لحياة جبران، ومع تفجر الفن الحديث في العشرينيات، والذي رفضه جبران ونظر إليه بفوقية منذ سنواته في باريس، وكان فنه يرجع أكثر في الزمن نحو أصولية توازي النبرة الواعظة لكتاب النبي وفكرة إنسانية منحطة «لم تعد قادرة على إدراك معاني النواميس العلوية الأولية الخالدة، كما جاء في كتابه الأجنحة المتكسرة. عبّر جبران عن فكرة الخلود والكليّة تلك بمجموعة رسومات بالرصاص والألوان المائية تؤمها أجساد ضبابية في وضعيات مسرحية .(٢)

وفي سيرته كان مولعا بالعشق في مرحلته اللبنانية والفرنسية والاميركية حيث ان حياته كانت تتاطر بمشاعره وحبه للنساء كما في حبه الجارف للأديبة العربية مي زيادة (١٨٨٦_١٩٤١م) (٣)، وقد أوجد جبران خليل جبران لنفسه حبيبات ينظم فيهن الشعر وكانت بعضهن يلازمنه ويعنين بأوراقه الخاصة وطباعة كتبه (٤)، وهو يذكر في رسائله لمي زيادة كيف انه مولع بالحب وانه مع ذلك لا يدري شيئا عن مشاعره لعلته.(٥)، ويبدو ان جبران خليل جبران كان يعاني من مجاعة في مشاعره وهو ما تبدى في سمات أعماله العربية والمعربة المليئة بكآبة الاحاسيس(٦).

ج. هجرته الى الولايات المتحدة الاميركية الاولى والثانية: هاجر جبران للولايات المتحدة سنة ١٩٠٠ وعاد الى لبنان بعد سنة عندما تمكّن جبران خليل جبران من تحقيق تفوق ملحوظ في مجال الرسم ودراسة اللغة الإنجليزيّة، ولكنه ظلّ مُشتاقاً إلى بلده لبنان وطفولته فيه، كما كان يتمنى أن يُكمل تعليمه في دراسة

(١) جبران خليل جبران، في عصره وآثاره الادبية والفنية، جميل جبر، ط١، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣، ص٦..
(٢) جبران خليل جبران رساما، يزن اللجمي، مجلة القنطرة السورية، العدد١٧ شباط ٢٠٢٠م، ص١
(٣) مي زيادة: اديبة لبنانية كانت ترمز بمجالسها الثقافية للنهضة النسوية الحديثة
(٤) جبران العاشق، انطوان فرنسيس، دار بيروت، بيروت، بلا سنة طبع، ص ٢٦٥
(٥) مختارات من رسائل جبران، جبران خليل جبران، تقديم جميل جبر، ط١، دار الجيل، بيروت، بلا سنة نشر، ص ١٤٥
(٦) جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لادبه ورسمه وشخصيته، غازي فؤاد براكس، ط١، دار النسر المحلق، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٤٠

اللغة العربيّة، وبعد ثلاثة أعوام عاد إلى لبنان للدراسة، فانضمّ إلى معهد الحكمة في العاصمة اللبنانيّة بيروت، واستطاع في هذا المعهد أن يطوّر معارفه ومهاراته باللغة العربيّة، ولكنّه عاد مُرغماً إلى مدينة بوسطن سنة ١٩٠٤[١].

وفي سنة ١٩٠٤ بعد هجرته الاخيرة الى الولايات المتحدة الاميركية أقام جبران أول معرض له في الرسم، وتعرف هناك على سيدة أمريكية ثرية كانت تساعده ماديا واجتماعيا تدعى ماري هاسكل (١٨٦٠_١٩٥٣)[٢]، كانت زارت المعرض وأعجبت برسوم جبران، فكانت نقطة تحول في حياته، فلقد أحبها لأنها كانت ملهمته وبمثابة ملاك ساقته الأقدار إليه ليأخذ بيده ويصقل موهبته .

لقد حرصت ماري على أن يتسلق جبران سلم المجد فأرسلته إلى باريس ليدرس أصول الرسم وفنونه في معاهدها العالية، وهناك تعرف على كبار الأدباء والفنانين، فساهم كل ذلك في اجتهاده وتميزه .بعدها عاد إلى بوسطن ثم انتهى إلى نيويورك حيث استقر هناك يعكف على الرسم والكتابة، فأصبح قبلة أنظار أدباء المهجر، وطارت شهرته الآفاق، وأسس الرابطة القلمية.

وتُعدّ الرابطة القلمية من أهم المُؤسّسات الأدبيّة التي ارتبطت بأدب جبران، وأسّسها بمشاركة مجموعة من الأدباء والشعراء، في عام ١٩٢٠م في مدينة نيويورك، إلى جانب ميخائيل نعيمة (١٨٨٩_١٩٨٨)[٣]، وإيليا أبو ماضي(١٨٩٠_١٩٥٧)[٤] و نسيب عريضة(١٨٨٧_١٩٤٦)[٥] حيث تشاركوا تاسيسها جميعا[٦]، وساهمت هذه الرابطة في ظهور العديد من الصحف، مثل صحيفة الفنون التي اهتمّت بالأدب، وصحيفة سمير المهتمة بأحوال المهاجرين، ومقالات جبران خليل المعروفة باسم البدائع والطرائف.[٧]

د. دراسته وفنه: درَسَ جبران فنَّ الرسمِ في الولاياتِ المتَّحدة، بعد ان زار خلال اقامته فيها باريس، وتعمَّقَ في دراستِهِ عندما سافَرَ إلى فرنسا فيما بعدُ، وكانَ إضافةً إلى كونِهِ فنانًا بارعًا وأديبًا وقاصًّا متميزًا

(١) عرائس المروج، جبران خليل جبران، تقديم: د. جميل جبر، شرح: سامي الخوري، ط١، بيروت، لبنان: دار الجيل، بلا سنة طبع، ص٤ _٧

(٢) ماريا هاسكل: مبشرة امريكية كانت احدى الشخصيات المهمة في حياة جبران خليل جبران ولها معه رسائل ادبية

(٣) ميخائيل نعيمة: مفكر لبناني وكاتب وناثر وكان اقرب المقربين لجبران خليل جبران وله معه رسائل والف في سيرته كتابا مهما له من المؤلفات كتاب: سبعون

(٤) ايليا ابو ماضي: شاعر عربي ويع من اهم شعراء المهجر وله ديوان شعر مطبوع طبعات متعددة

(٥) نسيب عريضة: شاعر وقاص سوري وصحفي وله ديوان شعر طبع طبعات متعددة

(٦) ينظر: جبران خليل جبران.

(٧) جبران خليل جبران ملهم للفنون الأميركية، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، العدد: ١٢٠٠٣ في ٩-١٠-٢٠١١، صفحة ثقافة

صاحِبَ مدرسةٍ أدبيةٍ تحمِلُ لونًا خاصًّا؛ حيث اتَّسَمَ جبران بسِعَةِ الخيالِ وعُمْقِ التفكيرِ وغزارةِ الإنتاج، والأسلوبِ السهلِ الجامعِ بينَ حرارةِ الوِجْدان، وجمالِ الصورة، والتأثُّرِ بالطبيعة، والالتزامِ برسمِ المعنى مع إحاطتِهِ بهالةٍ من الغموض؛ حيث تُعَدُّ سَرْديَّاتُه رمزيَّةً إلى حَدٍّ كبير؛ مما يُثيرُ الذهنَ والفكرَ لدى المتلقِّي وكان يقول في وصف فنه: (ان هذه ليست مجرد رسوم)[1]، ولقد كانت حياته شبه كئيبة جافة لا روح فيها وهو يؤكد في فنه ان عمل الفنان ضباب مسكوب في صورة.[2]

ه. مؤلفاته العربية

١.نبذة في الفن الموسيقى، (١٩٠٥) ط١ دار الاجيال بيروت ١٩٨٨

٢.عرائس المروج (١٩٠٥) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٣.الأرواح المتمردة، (١٩٠٨) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٤.الأجنحة المتكسرة، (١٩١٢) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٥.دمعة وابتسامة، (١٩١٤)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٦.المواكب (١٩١٩)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٧.العواصف، (١٩٢٠)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٨.البدائع والطرائف (١٩٢٣)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٩.مناجاة أرواح (١٩٢٨)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

(١) هذا الرجل من لبنان، بربارة يونغ، ط١، دار الاندلس، بيروت، بلا سنة نشر، ص ١٠٩

(٢) جبران في عصره واثاره الادبية والفنية، جميل جبر، ط١، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣، ٢٠٣

١٠.آلهة الأرض (١٩٣١)) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

ب. الإنجليزية

١.كتاب المجنون (١٩١٨)) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٢.كتاب النبي (١٩٢٣). الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٣.رمل وزبد (١٩٢٦) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٤.يسوع ابن الإنسان (١٩٢٨) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٥.حديقة النبي. (١٩٢٩) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٦.أرباب الأرض (١٩٣١) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

٧.التائه (١٩٣٣) الأعمال المعربة، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، بلا سنة طبع

وهناك مقالات ورسائل بعضهن لم تجمع في المجموعتين العربية والمعربة[١]

و. وفاته: وفي سنة ١٩٣١م قَضى عليه داءُ السل وقد قال مخاطبًا نفسه في اخريات ايامه: (لقد نحَرتَ حبَّك على مذبح شهوتك يا جُبران! أنت مصاب بداء الكلام يا جبران! ولأنك تخجل من كل ما فيك من ضعف بشريٍّ تَعكف عليه فتستره بحُلَّة الكلام الجميل والألوان البهجة، والكلام الجميل لا يَرفع الشَّناعة إلى مستوى الجمال، والألوان البهجة لا تَصبغ الضعفَ قوة، وقولك: إن الحب هو الله لا يجعل الشهوةَ الجسدية إلهًا، ولا اللذة الحيوانية ناموسَ الحياة) [٢]، وكانت أمنيته أن يدفن في لبنان وهو ما تحقق عام

(١) محاضرات عن جبران خليل جبران سيرته وتكوينه الثقافي مؤلفاته العربية، انطوان غطاس كرم، ط١، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٨٤

(٢) تاريخ الأدب العربي، حنا فاخوري، ط١، منشورات المكتبة البوليسية، بلا سنة نشر، ص ١٠٩٥

١٩٣٢، حيث دفن في صومعته القديمة في لبنان، والتي عرفت لاحقًا باسم متحف جبران، وأوصى أن يكتب على مقبرته بعد وفاته هذه الكلمات «أنا حى مثلك، وأنا واقف الآن جانبك، فاغمض عينيك والتف تراني أمامك».[١]

ان سيرة حياة جبران خليل جبران المعيشة والروحية والفكرية ترينا شخصية قلقة سوداوية لا تستقر على حال رغم الشهرة التي اكتسبتها وتعاني من خواء روحي تمثل في مجمل نتاجه النثري والشعري.

المبحث الثاني
النزعة النفسية التشاؤمية في قصيدته المواكب

كان جبران خيل جبران يؤمن بالتقمص الجسدي والروحي بمعنى حلول الارواح في اجساد اخرى بعد الموت وهو: ن عقيدة التقمص ركن رئيسي في الرؤية الجبرانية للإنسان والوجود، وبين ذلك في ايمانه الكبير بفكرة وحدة الوجود والذات العظمى ويمكن من خلال هذه الاركان تفسير وفهم مقولات جبران الفلسفية – الفكرية، كان جبران شديد الإيمان بفكرة التقمص في كتاباته وحياته الشخصية أيضًا فهو يقول في القصيدة:

والشرُّ في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلاتٌ تحركها
أصابع الدهر يوماً ثم تنكسرُ
فلا تقولنَّ هذا عالم علمٌ
ولا تقولنَّ ذاك السيد الوَقُرُ
فأفضل الناس قطعانٌ يسير بها
صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثر[٢]

فيظهر حالة التلازم في قوله الشر في الناس لا يفنى ويبدو أن الشاعر حدد ذاتية نفسية مندمجة بين رفض المجتمع بكليته وبين التمظهر بمظهر الحكمة وفق غروره النفسي

(١) هل كان جبران خليل جبران يعرف أنه سيموت بمرض السل، محمد عبد الرحمن، صحيفة اليوم السابع المصرية، العدد ١٠ نيسان ٢٠١٨، ص١

(٢) الاعمال الشعرية العربية، جبران خليل جبران، ص١٣٣

ثم يقول في القصيدة:

ليس في الغابات راعٍ ..... لا ولا فيها القطيعْ
فالشتا يمشي ولكن ..... لا يُجاريهِ الربيعْ
خُلقَ الناس عبيداً ..... للذي يأْبى الخضوعْ
فإذا ما هبَّ يوماً ..... سائراً سار الجميعْ
أعطني الناي وغنِّ ..... فالغنا يرعى العقولْ
وأنينُ الناي أبقى ..... من مجيدٍ و ذليلْ

وهذا ما يتوافق نفسيا مع رؤيته التشاؤمية للحياة وسبل سلوكها وكونه لا يعتقد الا بالنسخ في عقيدته النفسية وفي رؤيته النفسية للحياة ولالة لغة الابيات تدل على ذلك هو يؤكد في إحدى رسائله أن عنده شعورًا واعيًا بكونه عاش حياة بشرية في الماضي. كما يقول في رسالة أخرى في العام ١٩١١، أنه «في حيواته الماضية عاش مرتين في سورية، لكنها لفترات قصيرة، ومرة في إيطاليا إلى سنِّ الخامسة والعشرين، وفي اليونان حتى الثانية والعشرين، وفي مصر حتى الشيخوخة، وعدة مرات - ستَّ مرات أو سبعًا ربما - في بلدان الكلدان، وواحدة في كلٍّ من الهند وفارس» ويردف أنه في هذه الحيوات كلِّها كان «كائنًا بشريًّا، لكنه لا يعرف شيئًا عن حيواته قبل ذلك- ويؤكد ميخائيل نعيمه، في مقدمته للمجموعة الكاملة لمؤلَّفات جبران العربية أن «جبران الذي كان يؤمن أوثق الإيمان بالتقمص ما كان يحسب ولادته في شمالي لبنان مصادفة عمياء، بل كان يعتقدها نتيجة لازمة لحياة سابقة-. وسعى في فلسفته لتفسير الوجود بمعزل عن الانسان الحي[1]

ثم يقول في القصيدة:

أحلام من بمرادِ النفس يأتمرُ
و السرُّ في النفس حزن النفس يسترهُ
فإن تولىَّ فبالأفراحِ يستترُ
و السرُّ في العيشِ رغدُ العيشِ يحجبهُ

(١) جبران الفيلسوف سيكولوجية العبقري المريض بديهيات الفلسفة الحقوقية الرؤيا الفلسفية للانسان والله، غسان خالد، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ص ٣٥٤

فإن أُزيل توَّلى حجبهُ الكدرُ

فإن ترفعتَ عن رغدٍ و عن كدرِ

جاورتَ ظلَّ الذي حارت بهِ الفكرُ

لقد كان يعتقد لعدمية الحياة ولحبه للناي وحده في سلوكه الموسيقي ان انعدام الوجود هو سبيل لظهور وجود جديد ينعم فيه الانسان بالعدل والحب والفهم والبراءة وبالحرية الصغرى المؤدية عبر التأمل والألم الى بلوغ الحرية الكبرى(١)

ليس في الغابات حزنٌ ..... لا و لا فيها الهمومْ

فإذا ... هبّ ... نسيمٌ..... لم تجيءْ معه السمومْ

ليس حزن النفس إلا ..... ظلُّ وهمٍ لا يدومْ

وغيوم النفس تبدو ..... من ثناياها النجومْ

أعطني الناي وغنِّ ..... فالغنا يمحو المحنْ

وأنين الناي يبقى ..... بعد أن يفنى الزمنْ

وكان في فلسفته النفسية كما يتضح من هذه الابيات متشائما متألما سوداويا وفق وصف صديقه المقرب ميخائيل نعيمه يمشي اذ قال عنه: (في كهوف نفسه المظلمة وهو يحسبه ماشيا في كهوف العالم المظلمة وهكذا راح يجرع المرارة معصورة من قلبه)(٢)

ويقول في القصيدة وهي من بواكير اعماله العربية:

تأتيهِ عفواً و لم يحكم بهِ الضجرْ

لذلك قد حوَّلوا نهر الحياة إلى

أكواب وهمٍ إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سُرَّوا كأنهمُ

رهنُ الهوى و عَلَى التخدير قد فُطروا

فذا يُعربدُ إن صلَّى و ذاك إذا

أثرى و ذلك بالأحلام يختمرُ

(١) نفسه، ص ٢١٥

(٢) جبران خليل جبران حياته موته ادبه فنه، ميخائيل نعيمة، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ص١٦١

فالأرض خمارةٌ و الدهر صاحبها
وليس يرضى بها غير الألى سكروا
فإن رأَيت أخا صحوٍ فقلْ عجباً
هل استظلَّ بغيم ممطر قمرُ

إن باستقراء لغة القصيدة وما فيها من ظواهر نفسية من تمرد ورفض للمجتمع فاننا نرى ان القصيدة بضمن اعماله الشعرية العربية تخلو من طلاوة الوصف النفسي للذات الهادئة او المغتربة بل تكاد ان تكون ثورة نفسية ضمن اعماله العربية حيث ان الاعمال الشعرية لجبران خليل جبران في قسمها العربي تجسد بشكل كلي صورة ما قبل الادب المهجري لجبران خليل جبران جبران في اعماله الغربية التي سميت بعد ترجمتها للعربية باسم: «المجموعة المعربة»[1]، باعتبار ان الادب المهجري في استناده لأعمال جبران خليل جبران العربية فالمعربة من بعدها الأعمال العربية والمعربة:

قد اعتمد على مصدر أساسي، هو الحملة العنيفة على الدينِ واللغة، ومقوِّمات المجتمع العربي الإسلامي، والثورة على كل القيم والعقائد والإفراط في الإباحيَّة، ومهاجمة القيم الأخلاقية في الحب والزواج من إدخال أسلوب جديد مستغرَبٍ يُصادم الحسَّ الإسلامي، ويعارض مفاهيم البلاغة، ويُعلي من صيغة التوراة والمَجاز الغربي)[2]، والملاحظ في الاعمال الشعرية العربية لجبران خليل جبران والمسماة: « المجموعة العربية»[3] نزوعها لتكون ذات دلالات رمزية اشارية لا يكاد يفصح عن مراده من خلالهن

ثم يتجه ليقول في القصيدة نفسها:

غيرُ الأولى لهمُ في زرعهِ وطرُ
من آملٍ بنعيمِ الخلدِ مبتشرِ

(١) المجموعة المعربة، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت، وتشمل الكتب والقصص والدواوين التالية: المجنون والسابق والنبي ورمل وزبد ويسوع ابن الانسان والهة الارض والتائه وحديقة النبي

(٢) ينظر:إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام،انور الجندي، ط١، دار الاعتصام،١٩٨٥، ص١٦٦_١٦٧

(٣) المجموعة العربية، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة، ط١، دار صادر، بيروت، وتشمل الكتب والقصص والدواوين التالية : الموسيقى وعرائس المروج والارواح المتمردة والاجنحة المتكسرة ودمعة وابتسامة والمواكب والعواصف والبدائع والطرائف.

وقد صدر في مصر ديوان منحول لجبران خليل جبران في طبعة تجارية وبعد البحث والتدقيق تبين انه مزيج من قصائد جبران خليل جبران وقصائد خليل مطران (١٨٧٢_١٩٤٩) الشهير بشاعر القطرين، عبث به الناشر ليضخم حجمه ولا قيمة نقدية او علمية له فاضربنا عن الاستفادة منه لسقوطه في نشرته هذه.

و من جهول يخافُ النارَ تستعرُ

فالقومُ لولا عقاب البعثِ ما عبدوا

رباً و لولا الثوابُ المرتجى كفروا

كأنما الدينُ ضربٌ من متاجرهمْ

إن واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

وقوله:

ليس في الغابات دينٌ ..... لا و لا الكفر القبيحْ

فإذا... البلبل ... غنى ..... لم يقلْ هذا الصحيحْ

إنَّ...دين الناس يأْتي ..... مثل ظلٍّ و يروحْ

لم يقم في الأرض دينٌ .....بعد طه و المسيح

اعطني الناي و غنِّ ..... فالغنا خيرُ الصلاة

وأنينُ الناي يبقى ..... بعد أن تفنى الحياةْ

فهو ينقد الدين ويكرر ثيمة الناي الحزين ومن الملاحظ كما يقول نقاد جبران ونقاد نزعته النفسية في هذه القصيدة: ان أهم سمات كتابات جبران

والعدلُ في الأرضِ يُبكي الجنَّ لو سمعوا

بهِ و يستضحكُ الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانين إن صغروا

والمجدُ والفخرُ والإثراءُ إن كبروا

فسارقُ الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ

وسارق الحقل يُدعى الباسلُ الخطر

وقاتلُ الجسمِ مقتولٌ بفعلتهِ

وقاتلُ الروحِ لا تدري بهِ البشرُ

وفي هذه الأبيات تجد موت الشاعر في الحياة؛ وذلك بعدم وجود العدل على الأرض وكذلك وجود عامل السجن والموت وهرم المجد والعز وغيرها من عوامل موت الشاعر، وكل ذلك يشير إلى الموت البطيء للشاعر فلا تجد فيها أي إشارة إلى الحياة.

وكذلك قوله:

ليس في الغابات عدلٌ ..... لا و لا فيها العقابْ
فإذا الصفصاف ألقى ..... ظله فوق الترابْ
لا يقول السروُ هذي ..... بدعةٌ ضد الكتابْ
إن عدلَ الناسِ ثلجُ ..... إنْ رأتهُ الشمس ذابْ
اعطني الناي و غنِ .....فالغنا عدلُ القلوبْ

فينفي العدل ويقيم صورة نفسية لحكمة الناس وفق رؤيته النفسية هو فيحدد القاتل والقتيل في الحياة ويرى ان غناء الناي هو عدل القلوب

ثم يقول

*** ***

والحقُّ للعزمِ و الأرواح إن قويتْ
سادتْ و إن ضعفتْ حلت بها الغيرُ
ففي العرينة ريحٌ ليس يقربهُ
بنو الثعالبِ غابَ الأسدُ أم حضروا
وفي الزرازير جُبن و هي طائرة
وفي البزاةِ شموخٌ و هي تحتضر
والعزمُ في الروحِ حقٌ ليس ينكره
عزمُ السواعد شاءَ الناسُ أم نكروا
فإن رأيتَ ضعيفاً سائداً فعلى
قوم إذا ما رأَوا أشباههم نفروا

ان المواكب وفق الابيات السابقة في كليتها وجزئيتها، وهي الباكورة الاولى لتجليات النزعة الرومنسية والغزلية والرمزية في شعره و يتحدد نمط جبران خليل جبران فيها كما في هذه الابيات من خلال فهم نزعته اللغوية الدلالية المبكرة حيث كان في كتاباته اتجاهين، أحدهما يأخذ بالقوة ويثور على العقائد والدين، والآخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة.

أبطأ هذا النشاط الإنساني والأخبار المأساوية التي توافدت عليه من أوروبا والمشرق نتاجه الأدبي.

صحيح أنه نشر عام ١٩١٤ مجموعته –دمعة وابتسامة–، غير أنها لم تكن سوى جمع لمقالات بالعربية (٥٦ مقالة) نشرت في مجلة «المهاجر–، وكان هو نفسه قد تردد في نشرها. كانت ذات نفحة إنسانية وضمت تأملات حول الحياة، والمحبة، والوضع في لبنان وسورية، وقد اتخذت شكل القصيدة المنثورة، الأسلوب غير المعروف في الأدب العربي، وقد كان رائده. في هذه الفترة تقريباً، شعر بالحاجة للكتابة بالإنكليزية، هذه اللغة التي يمكن أن تفتح له الكثير من الأبواب وتمكنه من ملامسة الجمهور الأمريكي. قرأ «شكسبير» مرة أخرى، وأعاد قراءة الكتاب المقدس مرات عدة. كانت إنكليزيته محدودة جداً، غير أنه عمل طويلاً وبجد حتى أتقن الانكليزية ولكن دون أن يتخلى عن لغته الأم: فيقول: « بقيت أفكر بالعربية» كان غنى العربية، التي أولع بها، يدفعه دائماً إلى سبر الكلمة التي تتوافق بأفضل شكل مع مثيلتها في الإنكليزية، بأسلوب بسيط دائماً[١]

ثم يقول:

و العلمُ في الناسِ سبلٌ بأنَ أوَّلها
أما أواخرها فالدهرُ والقدرُ
وأفضلُ العلم حلمٌ إن ظفرت بهِ
وسرتَ ما بين أبناء الكرى سخروا
فان رأيتَ أخا الأحلام منفرداً
عن قومهِ و هو منبوذٌ ومحتقرُ
فهو النبيُّ و بُرد الغد يحجبهُ
عن أُمةٍ برداءِ الأمس تأتزرُ
وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها
وهو المهاجرُ لامَ الناس أو عذروا
وهو الشديد وإن أبدى ملاينةً
وهو البعيدُ تدانى الناس أم هجروا

والملاحظ في هذه الابيات كما يذكر في تحليل أسلوب الأعمال الشعرية العربية لجبران خليل جبران

(١) ينظر: جبران خليل جبران، على الرابط:
http://forum.tawwat.com/showthread.php?t=9159

تحليلها انها تعاني من سذاجة لغوية وسوء اشتقاق صرفي في احايين كثيرة ومن توجه نحو المجاز الخفي مما اثر في ادراكه وتوظيفه للأفعال والاسماء وحتى الحروف وفي بقاء انين الناي بعد نطفاء النجوم وهذا دلاليا ونفسيا لا معنى له.

ويقول أيضا:

والحرُّ في الأرض يبني من منازعهِ
سجناً لهُ و هو لا يدري فيؤتسرْ
فان تحرَّر من أبناء بجدتهِ
يظلُّ عبداً لمن يهوى و يفتكرُ
فهو الاريب و لكن في تصلبهِ
حتى و للحقِّ بُطلٌ بل هو البطرُ
و هو الطليقُ و لكن في تسرُّعهِ
حتى إلى أوجِ مجدٍ خالدٍ صِغرُ

وهذا بناء نفسي يعاني من الترهل حاول من خلال تغيير القوافي اخفاءه ولغته العربية فقيه ضعيفة السبك ضعيفة المبنى والمعنى وكما يقول بعض نقاده، وهناك حدود في أسلوب جبران في كتاباته باللغة العربية، لم يستخدم الأسلوب العربي التقليدي المعقّد، لذلك أنتقد في مناسبات عدة من قبل النقاد التقليديين. بالإجمال، لم يكتب أي قصيدة بالأسلوب الشعري المحافظ، إذ خرج عن هيكلية القصيدة العربية التقليدية التي إتّبعت رويّاً واحداً وقافية وبحراً واحداً. إستعمل جبران الكلمات والمفردات السهلة وقد تأثّر أحياناً بالأسلوب الغربي في الكتابة. لم يتّبع جبران الأسلوب هذا لمجرد إعجابه به، بل لأنّه لم يتعلم الطريقة القديمة. عاد من أميركا وهو في الثانية عشرة من عمره، وبالتالي لم يمرّ بمرحلة تعلم مبادئ وأسس كتابة الشعر العربي[1].

استنادا لما تقدم إن الباحثين يجدان عبر التحليل لغة ونفسية جبران خليل جبران في قصيدة المواكب انها لغة تتجه الى عدم الابانة عن نزعات النفس اضافة الى سوء توظيف الاسلوب العربي على الرغم من التزويق الجمالي الفني المبالغ فيه في الصياغة حيث ان شعره ها هنا لا يعدو ان يكون سبكا يخلو احيانا

(١) ينظر: جبران خليل جبران في دمعة وابتسامة والاجنحة المتكسرة، مجلة ليلاس، العدد على الرابط:
https://www.liilas.com/vb3/t103078.html

من الرصانة ويتجه للسذاجة بموازاة سوء التوظيف الصرفي والدلالي، ومن الملاحظ ان الشاعر اتبع في المواكب اسلوبين نفسيين؛ إذ انماز الأول بالقوة، والتمرد على القيود العقائدية والتقاليد، والدعوة إلى الحرية ورفض الموروث، والأسلوب الثاني بتقصي الأهواء، وحب الاستمتاع بالحياة، فهو يثور ليهدم، ثمّ يُعاود البناء. اتبع جبران عدة أساليب للتعبير عن فكره، كاستخدام الأسلوب القصصي، وأسلوب التأمل، وأسلوب المثل.

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة بعض النتائج الجديدة تتلخص في النقاط التالية:

١- ان جبران خليل جبران كان متأثرا بسيرة حياته الواقعية الاجتماعية في انتاج ادبه الشعري والنثري

٢- انه اوجد معالم للاغتراب النفسي وتماهى مع هذه المعالم في مجمل ادبه مما ادى الى جعل هذه المعالم ثيمات اسلوبية.

٣- ان قصائد جبران خليل جبران وخاصة قصيدته الشهيرة المواكب هي نتاج متاطر باطار الحدود البنائية لأسلوبه القاتم المليء بالاغتراب الداخلي والخارجي

٤- ان قصيدة المواكب تحمل سمات سوداوية وتشاؤمية تجسد ذاتية جبران المتغرب عن نفسه ووطنه واهله ومجتمعه

٥- ان القصيدة حددت ملامح نفسية كئيبة للشاعر تتجسد في البناء الفني والصوري والدلالي والبلاغي في ان واحد

٦- ان القصيدة تفردت عن قصائده بوحداتها الصورية التي تشكل تكرارات متناظرة لهدف اظهار السوداوية والتشاؤم

٧- ان القصيدة من اوج قصائد الشاعر ولم يوجه لها النقاد اي نقد سياقي لا لمبناها ولا لمعناها

٨- ان القصيدة تشكل رؤية بلاغية للصورة الفنية عند الشاعر.

الهامش

١- جبران في آثاره الكتابية، روز غريب، ط١، بيت الحكمة، بيروت، ١٩٨١، ص١٢.

٢- جبران خليل جبران، ينظر الرابط: http:// fforu tawas.com/showthread.php?t=٩١٥٩.

٣- جبران خليل جبران رساما يزن اللجمي، مجلة القنطرة السورية، العدد١٧شباط ٢٠٢٠م، ص١.

٤- مي زيادة: ادبية لبنانية كانت ترمز بجمالها الثقافية للنهضة النسوية الحديثة.

٥- جبران العاشق، انطوان فرنسيس، دار بيروت، بيروت، بلا سنة طبع، ص٢٦٥.

٦- مختارات من رسائل جبران، جبران خليل جبران، تقديم جميل جبر، ط١، دار الجيل، بيروت، بلا سنة نشر، ص١٤٥.

٧- جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، غازي فؤاد براكس، ط١، دار النشر المحلق، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٤٠.

٨- عرائس المروج، جبران خليل جبران، تقديم: جميل جبر، شرح: سامي الخوري، ط١، بيروت، لبنان، دار الجيل، بلا سنة طبع، ص٤-٧.

٩- ماريا هاسكل: مبشرة امريكية كانت احدى الشخصيات المهمة في حياة جبران خليل جبران ولها معه رسائل ادبية.

١٠- ميخائيل نعيمة: مفكر لبناني وكاتب وناشر وكان اقرب المقربين لجبران خليل جبران وله معه رسائل والف في سيرته كتاباً مهماً لهُ من مؤلفاته كتاب: سبعون.

١١- إيليا ابو ماضي: شاعر عربي ويعد من أهم شعراء المهجر ولهُ ديوان شعر مطبوع طبعات متعددة.

١٢- نسيب عريضة: شاعر وقاص سوري وصحفي ولهذا ديوان شعر طبع طبعات متعددة.

١٣- ينظر: جبران خليل جبران، على الرابط: https:analbahr. com بحث عن_ جبران خليل جبران_ بين_ الحب والألم/

١٤- جبران خليل جبران ملهم للفنون الأمريكية، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، العدد:١٢٠٠٣في ٩-١-٢٠١١، صفحة ثقافية.

١٥- هذا الرجل من لبنان، بعبارة يونغ، ط١، دار الأندلس، بيروت، بلا سنة نشر، ص١٠٩.

١٦- جبران في عصره وآثاره الادبية والفنية، جميل جبر، ط١، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٠٣.

١٧- محاضرات عن جبران خليل جبران سيرته وتكوينه الثقافي مؤلفاته العربية، انطوان غطاس كرم، ط١، معهد الدراسات العليا، القاهرة، ١٩٦٤، ص٨٤.

١٨- تاريخ الأدب العربي، حنا فاخوري، ط١، منشورات المكتبة البوليسية، بلا سنة نشر، ص١٠٩٥.

١٩- هل كان جبران خليل جبران يعرف إنه سيموت بمرض السل، محمد عبد الرحمن، صحيفة اليوم السابع المصرية، العدد ١٠نيسان ٢٠١٨، ص١.

٢٠- الأعمال الشعرية العربية، جبران خليل جبران، ص١٣٣.

٢١- جبران الفيلسوف سيكولوجية العبقري المريض بديهيات الفلسفة الحقوقية الرؤيا الفلسفية للإنسان، غسان خالد، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ص٣٥٤.

٢٢- جبران خليل جبران حياته موته أدبه فنه، ميخائيل نعيمة، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤، ص١٦١.

٢٣- المجموعة العربية، المجموعة الكاملة لمعلمات جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، تعريب الاشمندريت انطونيوس بشير، ط١، دار صادر، بيروت.

٢٤- ينظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ط١، دار الاعتصام، ١٩٨٥، ص١٦٦_ ١٦٧.

٢٥- شعرية الكتابة في نصوص جبران خليل جبران، صحيفة الخليج الإماراتية، العدد٢٧آيار٢٠١٥، ص١.

٢٦- ينظر: جبران خليل جبران في دمعة وابتسامه والاجنحة المتكسرة، مجلة ليلاس، العدد على الرابط: https://www. Liilas .com/vb3/t103078.html.